23/11/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

صفة الصفوة

الجنيد بن محمد بن الجنيد (2)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين، وبعد:

نحن نقرأ في سير أولياء هذه الأمة من كتاب **صفة الصفوة** والهدف من القراءة أن يعلق قلبك بواحد منهم فتعمل عمله فتلحق برتبته.

ونحن لا نعلم طريقاً يقربنا إلى الله إلا ما شرع.

الولي في اللغة: هو القريب.

فأنت ولي الله أي أنت قريب من الله، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، [البقرة: 257] أي قريب منهم فيتولى أمورهم.

نحن لا نعلم شيئاً يقربنا إلى الله تعالى إلا ما شرع فما افترض فرضناه، وما سن سنناه، وما أباح أبحناه، وما كره كرهناه، وما حرم حرمناه.

وإنما نقرأ في سير الأولياء لنطلع على من سبقنا في هذا الدرب، ألستم تقرؤون في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فهؤلاء هم الذين سبقوك في هذا الدرب، وأنت تقول: اللهم اهدني صراط الذين سبقوني في هذا الدرب؛ لذلك كانت سلسلة أعلام من الشام؛ ولذلك نحن نقرأ في سير أولياء هذه الأمة.

الحديث عن الإمام الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخَزَّاز القواريري، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازاً يبيع الخز وهو نوع من أنواح الحرير.

سبق في الدرس الماضي أن هذا الكلام يعني أن الولي لا يجب أن يكون جالساً في المسجد بل الولي موجود في المكتب، وفي محل الزجاج، وفي محل الأقمشة، وفي الطلياني، والصالحية، وسوق الحميدية، والمول، وكلية الآداب، وكلية الطب، وفي المستشفى، والمعمل، وسائق تكسي...

فالشكل غير مهم لكن المهم وأنت تقود التكسي، أو في المعمل، أو في كليتك ماذا تعمل هل عملك يوافق الشرع؟ إذاً أنت من الأولياء وقريب من الله، وإذا كان عملك بعيد عن الشرع فأنت بعيد عن الله، ولو لبست القبعة، وأطلت لحيتك، ولبست القميص، وأتيت بالسبحة الطويلة، ولبست لفة خضراء...

فالحكم ليس بالشكل بل بالقرب من الشرع.

عن أبي الطيب بن سرحان قال: سمعت الجنيد يقول: (**علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه**).

شيء لا يهمه ولا يعنيه يضيع وقته فيه لمدة طويلة بدون أي نفع، وإذا سألته بعد خمس ساعات من جلوسه ماذا استفدت، وماذا أفدت؟ فإذا قال: لم أستفد شيء ولم أفد، فإذاً هذا الرجل الله معرض عنه.

سمي الجنيد عند العلماء **سيد الطائفتين**، أي عنده علوم شرعية قوية بالقراءة والكتابة، وعنده علوم قلبية وروحية عالية.

سمعتم عن الإمام الغزالي بعد أن حَصَّل كل الرتب العلمية، قال: أرى أن أخلاقي ونفسي وهواي لا كما يحب الله؛ لذلك أريد أن أقوم بتذوق وسلوك الدرب الثاني، فقام بهذه العزلة.

وأنت إذا كان لك كل يوم مجلساً من مجالس الذكر فستكتشف معاني أخرى غير هذه الحواس الخمسة، والمادة العقلية لها لذة غير أن اللذة الروحية أحلى أنواع اللذات، وعندها تفهم عن الله عز وجل غير الفهم الذي تفهمه الآن.

هذا الشاب الذي يجلس أربع ساعات على الفيس بوك ما الذي استفدته أو أفدته؟ يجلس على الأقنية الفضائية أربع ساعات ما الذي استفدته؟

أهل التربية الروحية يقولون: (**أول درجات السالك ضبطه لوقته، وآخر طريق السالك ضبطه لأنفاسه**).

ليس بحضور الدرس أو بالصلاة بل بضبط الوقت، وطالما لديه وقت ضائع فاعلم أنه لم يدخل إلى مدرسة التربية الروحية، وكلما قال لك إنسان لا أعرف ما أريد أن أفعل وأنا أُقَطِّع الوقت تقطيعاً، أو إذا سألته كيف حالك؟ يقول: لا أفعل شيء أنتظر الموت، فهذا لم يدخل إلى مدرسة التربية الروحية.

لذلك يا إخوان ليس من المعقول أن يذهب وقتك هباء فيوجد عمل كثير تقوم به.

في هذه الأزمة كثير من الإخوة تعطلت أعمالهم وهم على قسمين:

1- نوع كسول ليس لديه تربية وقت صحيح: فتراه يندب حظه.

2- ونوع آخر ذهب وعمل في خدمة الناس ومساعدتهم:

هناك آفاق للعمل كثيرة، وهناك آفاق لخدمة العباد والبلاد ومن هذا الباب يفتح الله لك أرزاق مادية ومعنوية لا تخطر لك على بال، وينزل عليك من البركة ما لا تدركه، ولو بما أنت تموت بعد جمعة فاستكثر من الأعمال الصالحة.

بعض الإخوة قال لي ذهبت إلى الجمعية الخيرية مرتين للتطوع في عمل الخير وما استدعوني، فقلت له: عليك أن تذهب مائة مرة فأنت تطلب أمراً عظيماً.

(وآخر طريق السالك ضبطه لأنفاسه).

فلا يدخل نفس ولا يخرج إلا مع ذكر الله؛ لذلك أهل التربية النقشبنديين عندهم ذكر النَّفس بأن يقول مع الشهيق (الله) ومع الزفير (الله) فهذا تدريب إرادي، ومع التدريب يصبح لا إرادياً.

كلنا نمشي بشكل غير إرادي مع أن المشي إرادي، وعندما كنا صغاراً كنا نمشي بالوعي فينقلون خطواتنا خطوة خطوة.

فإذا حصل ذلك يصبح يذكر الله وهو نائم وعندما يستيقظ يذكر الله.

أحد الذين ترجم لهم الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء قال: كان شيخي في الاحتضار فوضعت رأسه على صدري فجعل يقرأ في سورة يس حتى وصل لآية ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾، [يس: 26-27] ثم جعل يقول الله.. الله.. الله.. حتى طفئ.

فمن أين أتى بكلمة الله.. الله..؟ لأنه في حياته كان يضبط النفس مع تكرار الله.. الله.. كانت آخر أنفاسه الله.. الله..

النفس تحب الانشغال؛ لذلك عليك قمعها، فإذا كان اثنين يتحدثان مع بعضهما في حديث فلا تحشر نفسك فيه.

شخص تريد الذهاب إليه فإن لم يكن هناك فائدة فلا تذهب، فإن كانت صلة رحم فنصف ساعة تكفي، صديقك يريد أن يأتي إليك فلا مشكلة ولكن ليكن هناك أمر تريدون النقاش فيه.

عن حامد بن إبراهيم قال: قال الجنيد بن محمد: (**الطريق إلى الله مسدود على الخلق إلا من اقتفى آثار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم**)، كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، [الأحزاب: 21].

وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السنة، أي اتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته، أي كيف كان يصل إلى الله عز وجل.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: ((**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**))، [مسلم].

كلكم لديه كتاب الأذكار وهو حوالي 300 صحيفة كلها أذكار، فتجد أن النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه ليس لديه شيء إلا ذكر الله، إذا خرج، إذا دخل، إذا رأى القمر، إذا لبس ثوب جديد، إذا خلع ثوبه، إذا لقي مريضاً، إذا زار صاحباً... فكله أذكار حتى صار رسول الله يذكر الله في كل أحايينه.

النتيجة: مهما استطعت أن تضبط وقتك فافعل وأفضل ما تَصْرِف به وقتك، ما يقربك إلى الله عز وجل وبين قوسين الترويح عن النفس مفيد، ولكن ألعب لأعود إلى العمل، وأتناول الطعام لأتقوى على الطاعة، وأروح عن نفسي وأضحك لأعود إلى الجد والاجتهاد، فالضحك واللعب ليسا هدفاً بل هما وسيلة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

اللهم فرج عنا وحفنا بألطافك بفضل سورة

الفاتحة.